

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية و النظام العلماني كحل، كمنقذ من جحيم الطائفية و تلبية
لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية والنظام العلماني كحل، كمنقذ من

جحيم الطائفية وتلبية لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

Philosophical Enlightenment under the Civil State and the Secular
System as a savior solution from the hell of Sectarianism to meet a
historical need, from the perspective of Mr. Hashem Saleh

سارة قزي¹، طالبة دكتوراه، جامعة باتنة 1، مخبر العولمة وحوار الحضارات، الجزائر.

sara.guezi@univ-batna.dz

شروف محمد²، جامعة باتنة 1، الجزائر، mohamed.charrouf@univ-batna.dz

تاريخ قبول المقال: 29-11-2023

تاريخ إرسال المقال: 17-08-2023

الملخص:

أغلب الأزمات والصراعات التي يعيشها العالم العربي الإسلامي من تخلف، وتطرف، وإرهاب ونزوع إلى العنف بأنواعه. وما انجر عنه من مآسي، ومجازر، وطائفية، وحزبية جعل من النقد العقلاني ضرورة حتمية لإيجاد حلول ومخارج من هذا النفق المظلم القائم على ثقافة اللاتسامح ورفض، وتكفير الآخر. ومن هنا كان نقد التراث أو بالأحرى إعادة فهمه حسب المفكر السوري هاشم صالح ضروري جدا لتجاوز أزمة العالم العربي وما يشهده من حروب طائفية وما يعرف بداعش والربيع العربي على العموم. حيث ذهب هاشم صالح إلى أن ما نعيشه اليوم من حروب وعنفا وتدمير يرجع إلى سببين أساسيين: ألا وهما فهمنا الخاطئ والضيق للإسلام وما يحمله من تعاليم، وتوهم العرب على امتلاكهم للحقيقة الإلهية هذا من جهة. وكذا فهم العرب المسلمين العلمانية على أنها الحاد وبالتالي عدم احترام حرية الآخر العقائدية، وهذا ما يؤدي بالضرورة لتبرير ممارسة العنف ضد الآخر على أنه حق مشروع.

وعليه يرى هاشم صالح أنه من الضروري حدوث ما يعرف بالصحة التاريخية في العالم العربي والتي تكون بالبحث الأركيولوجي في الأعماق بحثا عن جذور عقائدنا وأيضا التخلي عن منهجيتنا الفارغة والتي توهمنا على أننا مركز العالم، وذلك من خلال فهمنا الصحيح للدين الإسلامي وما يحمله من تعاليم. فاغلب الحروب الطائفية التي نشهدها اليوم ترجع للفهم الخاطئ للدين الإسلامي. ولإرساء السلام بين

* سارة قزي.

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية و النظام العلماني كحل، كمنقذ من جحيم الطائفية و تلبية
لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

الشعوب العربية لابد من تبني المنهج العلماني القائم على مبدأ " كل متدين مواطن بالضرورة ولكن ليس كل مواطن متدين بالضرورة"، وعليه ذهب هاشم صالح إلى ضرورة تبني ما يعرف بالدولة المدنية القائمة على الحرية والمواطنة تحت شعار " الدين لله والوطن للجميع".
الكلمات المفتاحية : التطرف، التراث الديني، العلمانية، الدولة المدنية، المواطنة.

Abstract

Most of the crisis and conflicts in the Arab-Islamic World such as underdevelopment, extremism, terrorism, and the tendency to violence of all kinds resulting in tragic massacres, sectarianism and partisanship, all of these have made rational criticism an inevitable necessity to find solutions and exits out of this dark tunnel based on a culture of intolerance, rejection and atonement of the other. Hence, the criticism of the heritage or rather it's re-understanding, according to the Syrian intellectual Hashem Saleh, was very necessary to overcome the crisis of

the Arab World, and the sectarian wars known as ISIS and the Arab Spring in general.

According to Mr. Hashem Saeh, there are two main reasons for wars, violence and destruction : our wrong and narrow understanding of Islam and its instructions, and the Arabs' illusion that they possess the divine truth on the one hand. On the other hand, Muslim Arabs understand secularism as atheism and therefore disrespect the other' freedom of belief, which necessarily leads to justifying the practice of violence against the other as a legitimate right.

Accordingly, Mr. Hashem Saleh believes that it is necessary to have what is known as the historical awakening in the Arab world through deep archaeological research in search of the roots of our beliefs, as well as abandoning our empty methodology, which deludes us as being the center of the world, through our correct understanding of the Islamic religion and its instructions.

Most of the sectarian wars we are witnessing today are due to the wrong understanding of the Islamic religion. And in order to establish peace among the Arab people, it is necessary to adopt the secular approach based on the principle that "every religious citizen is necessarily a citizen, but not every citizen is necessarily religious". Therefore, Mr. Hashem Saleh went to the need to adopt what is known as a civil state based on freedom and citizenship, under the slogan "religion is for God, and the homeland is for all".

Key words: extremism, religious, heritage, secularism, civil state, citizenship.

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية و النظام العلماني كحل، كمنقذ من جحيم الطائفية و تلبية
لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

مقدمة

من غير المعقول اعتبار الحديث في إشكالية الصراع الديني والحروب الطائفية في العالم العربي المعاصر من جنس القول العابر، والمؤقت والمرتل، ينتهي بمجرد انقراط عقد من يطوفون حوله أو كما وصفها فتحي المسكيني : " من فتنة الهوى " يشغلنا لبرهة زمنية فنفتن بحدثيته. وراهنيتها ونجد فيه فسحة كلامية لنعبر عن مشاغلنا، وهمومنا اليومية، ومخاوفنا من المستقبل. وحتى من أنفسنا الهائمة في مسار تاريخي جارف. وإنما نحن نريد لهذه الإشكالية أن تكون فاتحة لعهد فلسفي وفكري يحوز على ميزة الحضور الدائم في فضاء التفكير الفلسفي، وأن نهياً أنفسنا لعهد زمني إشكالي جديد.

كما يمكننا القول هنا أن أغلب الأزمات التي يعيشها العالم العربي الإسلامي من تخلف وتطرف وإرهاب، ونزوع إلى العنف بأنواعه، وما انجر عنه من طائفية وحزبية جعل من النقد العقلاني ضرورة حتمية لإيجاد حلول ومخارج من هذا النفق المظلم القائم على ثقافة اللاتسامح. ورفض وتكفير الآخر، ومن هنا كان نقد التراث أو بالأحرى إعادة فهمه حسب المفكر السوري هاشم صالح ضروري جداً لتجاوز أزمة العالم العربي. وما يشهده من حروب طائفية وما يعرف بداعش والربيع العربي على العموم. فقد ظلت السيادة الدينية كمشروعية مقدسة علياً في علاقتها بالسلطة السياسية في حالة توتر وصراع يبلغ ذروته إذا وقع تضارب بين مصالح السلطتين. وسعي إيديولوجي ودوغمائي لإضفاء المشروعية على ممارستهما. لذلك احتكمت المجتمعات الغربية إلى العلمانية للفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسية لما تحمله العلمانية في طياتها من تحول، وتحديث لنمطية المجتمعات القائم على التراجع الواضح للدور الديني، وعدم جدواه وفعاليته وهذا فعلاً ما كان من أهم دوافع التنوير والإصلاح في العالم الغربي.

فقد شهد تجسيد التصور العلماني القائم على فكرة فصل الدين عن الدولة في العالم الغربي تطور كبير لهذه الدول التي تبنت هذا التصور أي العلمانية ؛ في مختلف المجالات وقد عرفت هذه الفترة بعصر الأنوار آنذاك. في حين لا يزال الوطن العربي يعاني من الصراعات، والحروب الطائفية إلى يومنا هذا وهذا ما جعل الكثير من المفكرين العرب اللذين عايشوا علمانية الغرب وما أفرزته من تصالح وتسامح وتعايش سلمي بين شعوبها إلى ضرورة إيجاد مخرج من مأزق العنف المعاش. والولوج لعالم التسامح وغرس قيم المواطنة في العالم العربي ومن أهمهم المفكر السوري هاشم صالح الذي أشاد كثيراً بالثورة الفرنسية، والنهضة الغربية ككل وما حملته من انعكاس إيجابي على شعوبها. ومواطنيها بحكم أن المفكر السوري هاشم صالح انتقل من العيش في سوريا موطنه الأصلي إلى العيش في فرنسا. وهنا لامس المفكر السوري هاشم صالح التقدم الكبير الذي وصلت إليه أوروبا عامة وبالمقابل العالم العربي الإسلامي يعيش

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية و النظام العلماني كحل، كمنقذ من جحيم الطائفية و تلبية
لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

الصراعات الدينية والحروب العنيفة وبالتالي مجازر كبيرة ومآسي تعيشها الشعوب العربية جراء لما يحدث من نزاعات، وصراعات دينية مذهبية طائفية وعليه نجد أنفسنا أمام طرح الإشكال التالي : إلى ماذا ترجع هذه الصراعات الطائفية أو بالأحرى فيما تكمن أهم أسبابها وهل يمكن اعتبار الدولة المدنية منقذ منها ؟ وهل يمكننا اعتبار تبني مبادئ العلمانية وما تحمله من تصالح ديني حل لمختلف الأزمات التي يعيشها الوطن العربي الإسلامي اليوم. ؟. وعليه متى سينتصر التنوير الفلسفي على ما يعرف بالتعصب والتطرف واللاهوت التكفيري الديني في الوطن العربي على العموم حسب المفكر هاشم صالح ؟.

المبحث الأول:

يعاني العالم العربي اليوم من انتشار رهيب للعنف بأنواعه وشتى أشكاله بين أفراد المجتمعات العربية عامة. في ظل ما نعيشه اليوم من طائفية وتعددية حزبية تحاول كل واحدة منها إعطاء لنفسها حق المشروعية في ممارسة العنف، والإرهاب ضد الآخر. وهذه الصراعات جعلت من الدول العربية في مؤخرة الركب الحضاري في مختلف المجالات وصلت لدرجة عدم شعور المواطن العربي بالأمن. والأمان في الدول التي يعيش فيها بسبب ظهور الحروب الطائفية، والمنظمات الإرهابية وما يعرف بداعش اليوم. التي خلفت رعبا كبيرا في قلوب الكثير من الشعوب وعليه أصبح العالم العربي اليوم وإن صح التعبير يعاني من تدهور كبير مقارنة بالعالم الغربي ؛ نظرا لتفشي مختلف أنواع الإرهاب والدمار. وحسب هاشم صالح فإن العلة في ذلك ليست لا في الدين ولا في الإسلام ولا في القرآن بل العلة تكمن في شيئين أساسيين ألا وهما:

المطلب الأول: فهم العرب المسلمين للدولة العلمانية على أنها دولة إحادية أي علمانية تساوي إحاد حيث يعد توهم العرب المسلمين بامتلاكهم الحقيقة من خلال اعتناقهم للدين الإسلامي وإتباع تعاليمه من أهم ما جعل الدول العربية في مؤخرة الركب الحضاري أمام باقي الدول الأخرى نظرا لتعصب الأصولية الإسلامية ورفضها مواكبة الحداثة في شتى المجالات التكنولوجية والفكرية والفلسفة العلمية وغيرها وإدعائها لكمالها وامتلاكها للحقيقة الإلهية وبالتالي هم في غنى عن الحقيقة البشرية واكتشافاتها العلمية والتقدم والازدهار الذي تحمله في ثناياها. وهذا ما يزيد من صعوبة تحرر الشخصية العربية أو الإسلامية من أوهامها المزمنة في السنوات القادمة.

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية و النظام العلماني كحل، كمنقذ من جحيم الطائفية و تلبية
لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

المطلب الثاني: أما السبب الثاني والذي يعد العلة الكبرى ألا وهو فهمنا الخاطئ والضيق للإسلام وما يحمله من تعاليم. أو الفهم الخاطئ للقرآن الكريم والدين الإسلامي عامة، لذلك كان من الضروري حسب هاشم صالح «مراجعة تراثنا وتاريخنا على ضوء المناهج العقلية كما فعلت الأمم المتطورة. فالتراث الذي ترتكب باسمه أبشع أنواع العنف والإرهاب سوف يدفع الثمن عاجلاً أم آجلاً... ولن يستطيع أن يفلت من عملية المحاسبة أو الغربة التاريخية الصارمة»¹. وخاصة في ظل ما حدث من أحداث كحرب الخليج الأولى والثانية، أيضاً تفجيرات و.م.أ أحداث 11 سبتمبر وحرب أفغانستان، وحرب العراق، وتفجيرات مدريد ولندن وشرم الشيخ، ما حدث في سوريا وليبيا وغيرها. كلها محطات لفتت الانتباه على ضرورة التحرر والانفلات من قبضة الأصولية المتعصبة المتشددة.

"وكل هذا يدفع بالمسلمين بالضرورة إلى إخضاع تراثهم للدراسة العلمية والمساءلة الشديدة تماماً كما حصل للتراث المسيحي في أوروبا بعد محاكم التفتيش والحروب المنهجية وإرهاق العقول"². وعليه فإنه من الضروري الاستفادة من اللحظات التنويرية للعالم الغربي كونها سابقة على التنوير في العالم العربي ليس إلا. ولأن التجربة الإستراتيجية قد سبق الغرب لها حيث يقول: "ونحن نمتلك الامتياز بالقياس إلى الغرب ألا وهو أن تجربته قد تمت قبلنا وبالتالي نستطيع ان نتخذ منها مسافة نقدية"³. هناك تفاوت تاريخي واضح بين أوروبا والعالم العربي الإسلامي وهذا التفاوت لا يعني بالضرورة أن نكون طبق الأصل عن أوروبا. بل علينا أن نستفيد من إيجابيات التجربة الأوروبية ونطرح السلبات ؛ فلا يخفى علينا أن الحروب الطائفية هي التي دفعت فلاسفة أوروبا إلى بلورة فهم جديد للتراث المسيحي، ونحن الآن أيضاً نعاني حروب طائفية ومذهبية ونعاني من ظلاميات وهنا نلمس التشابه ما بين الحالة الأوروبية قبل قرنين أو ثلاثة وبين الحالة العربية الإسلامية اليوم. ومن هنا علينا الاستفادة من فلاسفة ومفكرات الفكر الغربي اللذين ساهموا في إنارة عقول شعوبهم أمثال : فولتير، وجون جاك روسو، وكانط اللذين أخرجوهم من حالة الفهم التكفيري والطائفي للدين إلى الفهم التنويري العقلاني للدين.

فهذا الانسداد التاريخي ناتج بالدرجة الأولى من استغلال الإرهاب والمتطرفين للنص الديني وإعطاء مشروعية لجرائمهم في ظل الاستناد به، لذلك وجب علينا تجاوز هذا التناقض المطلق بين النص (القرآن)

¹ هاشم صالح: 2007 ، الإنسداد التاريخي: لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي؟، دار الساقي بالاشتراك مع رابطة العقلايين العرب، ط 1، بيروت لبنان، ص 18.

² المرجع نفسه، ص 18.

³ المرجع نفسه، ص 229.

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية و النظام العلماني كحل، كمنقذ من جحيم الطائفية و تلبية
لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

والواقع، وبالتحديد مختلف التطورات العلمية، السياسية والفكرية الفلسفية التي جاءت بهذه الحادثة. فالمسلم للأسف وجد نفسه أمام تناقض كبير فلو التزم بحرفية النص يعني ذلك إنكار منجزات الحادثة كلها كما فعل بن لادن مثلاً، ومن الجهة أخرى إنكار النص ورفضه ينجر عنه شعور رهيب بالذنب والخطيئة وعدم الرضى الداخلي. والحل هنا «لن يكون إلا بالتأويل المجازي للنص والاعتراف بالمشروعية التاريخية للنص كما فعل المسيحيون في أوروبا بعد التنوير»¹.

المبحث الثاني:

و الإستيقاض سيكون مزعج وصعب وليس بالأمر الهين والسهل فمناقشة أمة إن صح التعبير في مبادئها، وأصولها الدينية ليس بالأمر المتاح والمتقبل. فقد ذهب هاشم صالح إلى أن الصحة التاريخية والانتفاضة الحقيقية للعالم العربي لن تكون إلا إذا قمنا بالمهمتين الأساسيتين التاليتين:

- أولاً : البحث الأركيولوجي في الأعماق في الجذور العميقة الأولى بحثاً عن أصول عقائدنا و يقينياتها التي تحجرت، وتجمدت إلى درجة أنها أصبحت تبدو وكأنها فوق الواقع المعاش وفوق حتى التاريخ كليا، وهكذا تحولت إلى عثرة وعائق كبير تحول بيننا وبين الانطلاقة الجديدة والانتفاضة التي تؤدي لاحقاً إلى معانقة العصر واللاحق بالركب الحضاري.

- ثانياً: "التخلي عن منهجيتنا الفارغة التي توهمنا بأننا مركز العالم في حين أننا لم نعد حتى على هامشه"². وهذه العملية لن تكون بالأمر الهين والسهل البسيط، بل تحمل في طياتها الكثير من القسوة والمعاناة، والألم حيث تعتبر جراحة للنرجسية الذاتية وما تحمله من حب للذات.

كما يضيف هاشم صالح هنا ضرورة العودة للبحث في مفهوم العلمانية باعتبارها من أبرز الأسس التي قامت من خلالها الدول الغربية وتبنيتها في تأسيس دولها. وكان لها الفضل الكبير في التطور الكبير الذي نراه اليوم في العالم الغربي. في حين بالمقابل في العالم العربي يشكل مصطلح العلمانية ذلك الشبح المخيف لدى الكثير من عامة الناس وحتى بعض المثقفين، والمفكرين نظراً لتباين الآراء حول ضبط مفهوم عام وواحد للعلمانية والاتفاق على معنى شامل، فإذا كانت الأغلبية يرون أن العلمانية تكمن أساساً في فصل الدين عن الدولة، أو بالأحرى فصل الدين عن السياسة فإن المفكر السوري هاشم صالح يذهب إلى عكس ذلك تماماً ذلك من خلال رفضه للعلمانية التي تعني فصل الدين عن الممارسات السياسية

¹ هاشم صالح: 2007، المرجع السابق ص 19.

² هاشم صالح : 2010، الإسلام و الإغلاق اللاهوتي، دار الطليعة للطباعة والنشر - ط1 - بيروت. ص 13.

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية و النظام العلماني كحل، كمنقذ من جحيم الطائفية و تلبية
لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

ويطلق عليها مصطلح العلمانية المتطرفة، فالعلمانية عنده يجب أن تتصالح مع الدين وجوهر الإسلام بالتحديد لا أن تتخاصم معه.

المطلب الأول: فالعلمانية المتخاصمة مع جوهر الإسلام لن تنجح في العالم العربي ولا الإسلامي لأنه يجب أن تكون هناك علمانية منفتحة. ففي الوقت الراهن يتم التحدث عن ما يعرف «الدولة المدنية» أكثر من علمانية. الدولة المدنية: والتي تكون للجميع سواء كانوا متدينين أو غير متدينين، مسلمين أو غير مسلمين، لأن في العالم الإسلامي العربي خصوصا في المشرق يوجد الكثير من المسيحيين بنسبة تفوق تعدادهم في المغرب العربي. فنحن بحاجة لدولة مدنية من أجل حل مشكلة التعايش السلمي بين جميع أفرادها باختلاف انتمائهم الديني، فيجب أن يكون الجميع متساوين أمام الدولة المدنية، وقوانينها مع بقاء إيمان كل فرد بدينه «فالدين لله والوطن للجميع».

ففي الدولة المدنية من الضروري "التوفيق بين المواطنة والتعددية"¹. على أساس المحافظة على حرية المواطنين، وضمان ضرورة أن يكونوا شركاء فاعلين في مختلف المحطات السياسية ومجالات التطوير بصورة عامة. فالمواطنة تقتضي المساواة بين جميع الأفراد في الحقوق والواجبات من خلال مؤسسات دستورية قادرة على نشر عدالة حقة تقوم على الإنصاف، كما أن التعددية في حد ذاتها تتأسس على مبدأ المشاركة الفعالة المتوازنة من طرف جميع الطوائف والمذاهب باختلافها في الحكم، والتسيير، والإدارة مع مراعاة المحافظة على دور الجميع في الحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية وذلك طبعا بدون إعطاء امتيازات لأحد أو لطائفة معينة على حساب أخرى.

ومن بين الأهداف التي يسعى إليها المفكر هاشم صالح هو تكريس العلمنة في العالم العربي، وهو عندما ينادي بهذا التوجه العلماني بمعنى فصل الدين على السياسة لا يحدد نوع الانتماء الديني بل يقصد منه الظاهرة الدينية عموما. لكن بحكم توجهه فإن الإسلام احد التجليات التي لا بد من أن تخطها أقلام النهج العلماني المنفتح المناهض للسرديات الكبرى والدوغمانيات الكبرى والصور الوثوقية للدين التي تجعله يعادي بانغلاقه كل أشكال التنوير والتطور. يرى هاشم صالح أن العلمانية توجه عرفه الغرب واستناروا فعرفوا كل أشكال الحرية، والانفتاح وبالتالي قد تعلمنوا وفسحوا المجال أمام الاختلاف والنقد دون شروط ولا قيود. عكس العالم العربي فقد تخيل ذاته مستتيرة ومبدعة ومتحرر لكن هذه الرؤية حسب هاشم صالح تبقى مزيفة إنها وعي زائف بهذا التحرر وهذه الاستتارة حيث يقول: "لقد توهمنا وأوهمنا أنفسنا بأننا

¹ نقلا عن معيلبي عيسى، 2015. محمد اركون نقد الذات لتحقيق التواصل مع الحضارات (كتاب جماعي) مخبر حوار الحضارات والعلومة، دار قانة للنشر والتوزيع .

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية و النظام العلماني كحل، كمنقذ من جحيم الطائفية و تلبية
لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

متحررون ولكن دون تحرر، وأننا مستثيرون ولكن بدون استتارة فعلية¹. كما أن العالم العربي الآن فقط هو في طريقه للتنوير وهو لم يتجاوز بعد المرحلة التنويرية التي تجاوزتها الفلسفة المابعد حداثة حيث يقول: "التنوير أماننا وليس خلفنا"². كون الغرب قد تنوروا عرفوا لحظات الاستتارة عندما تمكنوا من أحداث القطيعة ثم إن هذه القطيعة لم تحدث في العالم العربي لحد الآن، وبالتالي ظل العالم الإسلامي رهين التوجه الأصولي وبالتالي يناهض هاشم صالح بضرورة إحداثها فهي ضرورة تاريخية لا بد منها لأجل مواكبة مشروع التنوير، والوصول إلى علمانية مفتحة استقبالية لا ترفض التنوع الديني وترحب بالمختلف على أشكاله.

وعليه لا بد لأجل الخروج إلى علمانية مفتحة أن يكون هناك تنوير مفتوح خالي من الرواسب الدينية حيث يقول: "معظم مجتمعاتنا مكتوبة تاريخيا: كبت ديني وكبت سياسي وكبت لغوي، وربما كبت أنطولوجي وجودي"³. فلأجل فكر علماني مفتوح لا بد من فك كل القيود خاصة القيد التأصيلي (الأصولي) الذي يكبح جمال الانفتاح والتنوير. ويتساءل هاشم صالح في مقاله (العرب إلى أين): "أين هو الفكر العربي الذي سيسقي السماء المكفرة كنوزا وهاج؟ لا نزال في الانتظار"⁴.

المطلب الثاني: إن المعركة التي لا بد من أن تخوضها للوصول إلى ما وصل إليه الغرب المتقدم هي معركة يقول هاشم صالح تنطلق من الداخل وليس من الخارج، معركة تنطلق حسب أركون من نقد الذات: "معركة التنوير معركة نفسية داخلية، قبل أن تكون معركة خارجي"⁵. وبالتالي يدعو هاشم صالح إلى علمانية روحية ليست انقيادية تابعة كما فهم ذلك بعض نقاده بل هي علمانية خاصة لأجل تحقيق التوازن، ولا يعني مشروع تكريس العلمانية في العالم العربي عند هاشم صالح ذلك التوجه المقلد لكل شيء، بل مشروع العلمانية ليس إتباع الغرب حيث يقول: "ولا يعني ذلك أننا مضطرون لإتباع نفس المسار التاريخي الذي اتبعه الغرب طيلة مائتي سنة في حادثته، فقد نتوصل إلى اكتشاف طريقنا الخاص عن طريق التجريب الشخصي والمغامرة الذاتية في الإبداع"⁶.

¹ هاشم صالح : 2008 مخاضات الحداثة التنويرية (القطعة الاستمولوجية في الفكر والحياة، دار الطليعة، ط1، بيروت. ص 228.

² المرجع نفسه، ص 229.

³ هاشم صالح: 2014 ، العرب الى أين؟ جريدة الشرق الأوسط العدد 12883.

⁴ المرجع نفسه.

⁵ هاشم صالح : 2008، المرجع السابق، ص 229.

⁶ هاشم صالح : 2008، المرجع السابق، ص 229.

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية و النظام العلماني كحل، كمنقذ من جحيم الطائفية و تلبية
لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

– الذي حصل في الوطن العربي هو انفجارات عنيفة انتهت بالفشل عكس الانفجارات والثورات في العالم الأوروبي سبقها تنوير فكري، تنوير ديني لذلك أعطت أكلها وثمارها. في حين الانتفاضات العربية لم يسبقها تنوير ديني ولا تنوير فلسفي لذلك سطت عليها جماعات الإخوان المسلمين، وبالتالي أجهضت هذه الانتفاضات والثورات العربية وسقطت لأنها سطت عليها جماعات مضادة لحركة التاريخ ومضادة للإصلاح الديني، والتنوير الفلسفي مؤيدة للتكفير فلا يمكنها بالتالي صناعة المستقبل. إن دعوة هاشم صالح إلى ضرورة التنوير هي تنبؤه بضرورة أخرى تتطلب ذلك هي نقد الذات من منطلق نقد التيارات الأصولية المتحجرة ؛ التي تجعل من الدين متوقع جامد حكرا على طبقة ومكان معين وتعصمه من المساءلة والنقد ثم إن هذه الدعوة التحررية التي هي: "تحرر بلا حنين"¹ كما قال فتحي المسكيني، وبالتالي فإن هاشم صالح في دعوته إلى تكريس توجهه العلماني في العالم العربي يرى انه لابد من التجربة الأركيولوجية او الحفر الأركيولوجي في الأصول ونقدها من الداخل لا من الخارج فهي زحزحة وتجاوز. كما يقوم المنهج الأركوني "أينبغي علينا أن نزحزح أولا ثم نتجاوز ثانيا كل الأجهزة المفهومية، والمقولات القطعية والتحديدات الراسخة الموروثة عن الماضي سواء كان هذا الماضي ينتمي إلى جهة التراث الإسلامي، أم إلى جهة التراث الأوروبي"².

– وبالتالي فإن هدف التنوير والعلمانية حسب هاشم صالح ليست ثورة رجعية انتكاسية تؤله الغرب بل علينا إنتاج خطاب علماني ، أو الاتجاه نحو علمانية لا تجمع بيني وبين الآخر في صندوق خشبي واحد بل علينا أن لا نقع في الخلط كما يقول نيتشة: "لا أريد أن يقع الخلط بيني وبين الآخر، فإن من المفترض طبعا أن لا أقع بدوري في هذا الخلط"³.

والدخول في العلمانية يستوجب هنا نقد الدين من حيث هو طقوس لا من حيث هو عقائد روحية وهذا ما لم نجده حسب هاشم في العالم العربي، ناهيك عن وجود هذه النزعة النقدية في العالم الغربي خاصة في فرنسا متأثرا بهذا فيقول "عندئذ عرفت معنى التواجد في أوروبا أو في فرنسا تحديدا أي في بلد علماني محرر كلية من رهبة الأصول الدينية وإرهابها: بلد يسمح لك بممارسة الحرية النقدية الكاملة على الدين

¹ فتحي المسكيني: 2011 ، الهوية الحرة نحو انوار جديدة ، جداول للتوزيع والنشر، ط1، بيروت. ص 11.

² المعيلي عيسى وآخرون 2015، المرجع السابق، ص 174.

³ فريدريك نيتشة: 2006 ، هذا هو الانسان، تر علي مصباح، منشورات الجمال، ط2، بغداد، ص 65.

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية و النظام العلماني كحل، كمنقذ من جحيم الطائفية و تلبية
لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

المسيحي من دون أن يقلقك احد (...) ومن دون أن يصيبك مكروه¹. إن هذه الحرية لا نجد لها ما يقابلها في العالم العربي بالرغم من أن الإسلام أصله تسامح حيث يقول: "إن الأصل في الإسلام هو التسامح لا التعصب، الأصل هو الانفتاح على الآخرين وحب الخير لهم لا الانغلاق والكره المسبق"² لكن هذه الرؤية الإسلامية تبقى غير مفهومة للعالم العربي خاصة والتوجه الأصولي المتعصب للآخر وبالتالي بقي العالم العربي خارج نطاق التنوير والعلمانية* وحتى وإن عاد العرب إلى الدين فإن عودتهم تبقى مجرد عودة طقوسية (الطقوس) فقط وليس إلى متن الدين الحقيقي إذ يبقى العرب يشتغلون على هامش الدين فقط حيث يقول في مقاله حول العرب والمتقنون وفلسفة الدين: "فهي عودة إلى الطقوس وإلى الإسلام السياسي بالدرجة الأولى"³. إن هذه الصورة قد ابتعدت عن معنى الدين الحقيقي وعن مسألة الروحانيات أي العودة إلى الدين في أبعاده الأخلاقية.

– ويرى هاشم صالح انه لاجل تكريس العلمانية لا بد من القيام بعملية نقد الأصولية التي تقوم على الدوغماتيات، والديماغوجيات وتقدم نفسها كسرديات كبرى لا ينبغي تجاوزها ويستأنس هاشم صالح هنا بمقولة ل عبد الوهاب المؤدب: "أيها السادة إن الإسلام مصاب بمرض عضال وقد آن الأوان لتشخيص هذا المرض وإيجاد الحلول والعلاج له إن أمكن وهذه المهمة تقع على كاهل المتقنين والعرب قبل غيرهم"⁴. وبالتالي فإن ضرورة تشخيص الأزمة التي يعاني منها العالم العربي وعدم التحاقه بالركب الأنواري ذي التوجه العلماني تملي على المثقف أن يحمل زمام هذا التنوير. ولابد من اعتماد الترجمة كإستراتيجية ليسهل على القارئ العربي فهمها، والعيش على مقتض أفكارها التنويرية حيث يقول في مقاله: "معركة التنوير العربي": "لقد اقترحت أمام الحضور الكريم في مركز (الشيخ إبراهيم) إستراتيجية محددة لخوض معركة التنوير الدينية في العالم العربي هذه الإستراتيجية تقتض إعادة طبع النصوص الأساسية لمفكري العصر الذهبي* (...) ينبغي أن ترفق بمقدمات مطولة لموضوعاتها ضمن سياقها التاريخي ثم تسهيل فهمها على القارئ العربي"⁵.

¹ هاشم صالح : 2010، المرجع السابق، ص 19.

² هاشم صالح: 2014، معركة التنوير العربي، جريدة الشرق الأوسط، العدد 12897.

³ المرجع نفسه.

⁴ هاشم صالح : 2010، المرجع السابق، ص 118.

⁵ هاشم صالح : 2014، معركة...، المرجع السابق.

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية و النظام العلماني كحل، كمنقذ من جحيم الطائفية و تلبية
لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

إن العالم العربي لازال عالق في رواسب الأصولية وبالتالي فالعرب لم يصل لحد الآن إلى لحظات التنوير الحقيقية ؛ لأن هناك تعلق طفولي بالماضي والسلف، "اعتقد أن التعلق الطفولي بالماضي والإنشاد بإستمرار نحو الأسلاف ليس له أي معنى ولكني اعتقد في الوقت نفسه إن هذا التعلق الطفولي سوف يظل مستمرا ما لم نقم بتصفية حساباتنا مع الماضي الماضي لا يمثل أي مشكلة"¹. فهذا الماضي يحتاج ويستحق قراءة أخرى وفهم آخر غير الفهم الظلامي والفهم المتطرف السائد ؛ يحتاج تراثنا إلى أن تطبق عليه أحدث المنهجيات.

والتنوير على العموم أساسه طبعا الانبثاق من داخلنا عن طريق الاستفادة من تجربة الدول المتقدمة، وأنا أرى أن أول خطوة من أجل هذا التنوير هي إعادة قراءة التراث كله، ونبش كل التيارات المطموسة بدءا من عصور الانحطاط إلى اليوم، عند سيطرة السلاجقة انتصر تيار الغزالي بالرغم من قيمة الغزالي في ميادين عدة على تيار الفارابي وابن سينا وابن رشد على الرغم من محاولة هذا الأخير صده عن طريق كتابه "تهافت التهافت" ردا على كتاب الغزالي "تهافت الفلاسفة". وفي هذا الإطار يجب على مسؤولي التعليم في العالم العربي إبراز كل هذه التيارات المطموسة في تاريخنا والمغيبة مثل التيار المعتزلي، كحزب ومذهب والذين أحرقت كتبهم في الأمصار وشردوا وقُتلوا واكتشفت بعض كتبهم في اليمن في العقد الأخير مخبأة، حيث سيطر التيار الحنبلي على الفكر الإسلامي إلى عصرنا الحاضر، فأين التوحيدي وأين المعري وأين إخوان الصفا؟..

فأول خطوة إذن هي إبراز هذا التيار المطموس في تاريخنا؛ لأنه تيار أيضا عربي وإسلامي وهو رؤية أخرى للإسلام، والعمل هنا يجب أن يتركز على نشر كتب هذا التيار وشرحها وترجمتها إلى لغة عربية مبسطة، حتى تكون في متناول الجميع، مثل كتب الفارابي وابن سينا والمعري وغيرهم..

النقطة الثانية في مشروع التنوير هي النظر في التنوير الأوروبي، فلم توقف تنويرنا نحن؟ مع ابن رشد بدأ تنوير الأوروبيين، وهنا عملنا يجب أن يتمثل في ترجمة حركة التنوير الأوروبي ومؤلفاتها الأساسية متمثلة مثلا في مونتسكيو، وفولتير، وديرو وكانط وهيغل وسبينوزا.. فمحور التوفيق بين الدين والفلسفة يعتبر أحد المحاور الأساسية في التفكير الأوروبي.

النقطة الثالثة وهي تعميق العلاقة بين الدين والفلسفة في تاريخنا، وأن تنتشر فلسفة الدين في العالم الإسلامي، ولا يجب أن نختصر الإسلام في مجموعة مهمات وتعييزات وفتاوى فقهية وقل ولا تقل، فالإسلام أوسع وأعظم من هذا بكثير. فالتصوف الإسلامي مثلا أعظم مما يقدم في الوقت الحالي، ويجب

¹ هاشم صالح : 2008، المرجع السابق، ص 69.

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية و النظام العلماني كحل، كمنقذ من جحيم الطائفية و تلبية
لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

إعادة اكتشافه، وهناك قيم أخلاقية وإنسانية عند ابن مسكويه الذي سبق في بعض مبادئه التنوير الأوروبي، ولكن مشكلتنا أننا لا نعرف هذا التنوير الإسلامي المفقود.

و عليه نحن الآن في العالم العربي في بدايات التنوير أو يمكننا القول ما قبل التنوير لا نزال في بداية البدايات لان التنوير الديني قصة ضخمة كبيرة، تعني غريلة التراث كله من أوله لآخرة وهذا الشيء يصعب أن يفعله المثقفون العرب في بلدانهم لذلك يهاجرون إلى أوروبا وجامعات الغرب عامة فنحن مشبعون بعقلية القرون الوسطى. كما لا ينبغي أن نواصل ازدياد الأديان الأخرى بل من الضروري الاعتراف بمختلف الأديان الأخرى واحترام تراث البشرية الأخرى.

– وعليه نجد أن المفكر السوري هاشم صالح حاول أن يقدم لنا تصور جديد في حل إشكالية جدلية العنف والتسامح والصراع الديني القائم في العالم العربي عامة من خلال ضرورة إرساء التعايش السلمي بين أفراد المجتمعات العربية؛ "لا تسامح من دون تنوير ولا تنوير من دون تسامح"¹. وأيضا من خلال احترام مبادئ المواطنة والتي يعرفها قاموس المصطلحات السياسية بأنها: "مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين شخص طبيعي، وبين مجتمع سياسي (الدولة) ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق القانون"².

وهذا لا يتجسد على أرض الواقع إلا من خلال تبني التصور العلماني القائم على مبدأ المصالحة بين الدين والسياسة لا القطيعة بينهما حسب تصور هاشم صالح. الذي قدم لنا هنا تصور جديد عن العلمانية وهذا راجع طبعا إلى معاشته لعلمانية الغرب عامة وفلسفة الأنوار بصفة خاصة. فكان له الحظ في التعرف على التصور العلماني القائم على فصل الدين عن الدولة ووفقه أقر بأن الفهم الصحيح للدين الإسلامي هو الحل الأسمى، والركيزة التي ينبغي أن تقوم عليها المجتمعات العربية هي تبني ما يعرف بالدولة المدنية والقائمة على مبدأ "كل متدين مواطن بالضرورة ولكن ليس كل مواطن متدين بالضرورة". و عموما تجسيد هذا المبدأ على أرض الواقع في الوطن العربي ليس بالأمر الهين ولعل ما نعيشه من حروب وصراعات ما يعرف بالربيع العربي أكبر دليل على بداية الطريق في تجسيد هذه الدولة المدنية عند العرب رغم أن تجسيدها في العالم الغربي كان مع الحداثة أي أنهم هنا يتجاوزوننا بسنوات كثيرة ولكن

¹ هاشم صالح : 2021 ، العرب بين الأنوار والظلمات محطات وإضاءات – دار المدى ط1- بيروت.

² صفد عبد العزيز حمادي علوي : 2019 ، المواطنة و دورها في بناء الدولة المدنية الحديثة دراسة مقارنة : دار الكتب و الدراسات العربية. ص 9.

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية و النظام العلماني كحل، كمنقذ من جحيم الطائفية و تلبية
لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

لنا أمل في اللحاق بالركب. فهي " دولة تحفظ العدل وحقوق المواطنين في المجتمع المدني من الاعتداء بحماية القانون لها¹."

و يعد المفكر السوري هاشم صالح من المفكرين العرب الذين جذبهم الاسم واستهواهم اللفظ والمعني للعلمانية. خاصة في جوانبها الإيجابية حيث كانت بالنسبة له تعني تحررا وانفتاحا ونزعة استقبالية، ترنوا نحو الأفق الفكري المتحرر والتي حسب رؤيته قد تجلت في الفكر الغربي، خاصة وأن الغرب عرفوا حركة استنارة واسعة. تخلصوا من خلالها على كل أشكال الدوغمانية الدينية والإنغلاقية على الديانات الأخرى، وفتحوا مجال الحوار والنقد على مصرعيه. وبالتالي نجد الفكر الغربي حسب هاشم صالح نموذج للتحرر والانفتاح ومضادات السرديات الكبرى والصور الوثوقية للفكر المنغلق "ففرنسا هي بلد الأنوار الفلسفية بامتياز، فمنها أشرقت في القرن الثامن عشر وانتشرت لكي تعم كل أنحاء أوروبا"².

إن هذه الحركة التنويرية التي تسبق العلمنة وتمهد لها قد رأينا كيف عبر عنها هاشم صالح وتوصل إلى أنه لا بد من الإقتداء بالفكر الغربي من أجل الوصول إلى علمنة تكون سببا في التقدم للعالم العربي ولكنه يرى أن هذا التوجه في العالم العربي لا يزال غائبا عنا، لأننا نعاني من توجه أصولي قد استفحل في تفكيرنا، وبالتالي لا بد من الدخول في مشروع العلمنة، أن نفكر على طريقة الفكر الأنثوري، أن نفكر على شاكلة فولتير وروسو وجون لوك وفلاسفة التنوير عموما، ونجعل منهم مدخلا نتجاوز به الانغلاق الذي نعيشه.

عموما فإن مشروع هاشم صالح في تكريس التوجه العلماني في العالم العربي وتبني سياسة ما يعرف بالدولة المدنية التي من خلالها نصل لتجسيد روح المواطنة الحقة على أرض الواقع. وبالتالي تحقيق التعايش السلمي بين أفراد المجتمعات العربية، نجد له من يرحب ويهمل، كما نجد من قابله بالرفض أمثال عبد الوهاب المسيري الذي انتقد بشدة هذا التوجه في العالم العربي بالإضافة إلى أنصار التوجه الأصولي الذين اعتبروه مشروعا تدميريا وانتهاك للذات العربية وخصوصيتها.

خاتمة:

عموما لا يمكننا إنكار وجود تفاوت تاريخي واضح بين أوروبا والعالم الإسلامي فيما يخص دراسة الأديان والإصلاح الديني والتنوير الفلسفي، وهذا ما يجعلنا أمام فرصة الاستفادة من تجربة أوروبا وذلك

¹ جاسر عودة : 2015 ، الدولة المدنية نحو تجاوز الاستبداد و تحقيق مقاصد الشريعة ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر - ط1 - بيروت. ص 75.

² هاشم صالح : 2020 ، لماذا يشتعل العالم العربي ؟ - دار المدى - ط1 - دمشق. ص 64.

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية و النظام العلماني كحل، كمنفذ من جحيم الطائفية و تلبية
لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

من خلال الأخذ بالإيجابيات وطرح السلبيات. فالكثير من المفكرين يتحدثون اليوم عن تجديد الفكر الديني، عن التنوير، عن الإصلاح وليس هاشم صالح فقط وحتى الزعماء والسياسيين وهذا دليل على الحاجة الماسة الآن في العالم الإسلامي إلى فهم جديد لتراثنا الإسلامي العظيم والذي يعتبر أحد أعظم الأديان يستحق قراءة أخرى، وفهم آخر غير الفهم الظلامي والفهم المتطرف السائد. يحتاج تراثنا من منظور هاشم صالح أن تطبق عليه أحدث المنهجيات كما فعل محمد أركون في السربون على مدار 40 سنة، وهو يجدد دراسة تراثنا ويضيئه من الداخل بشكل لم يسبق له مثيل عن طريق تطبيق المنهج الألسني، المنهج التاريخي الفلسفي وحتى الأنثروبولوجي. خدم تراثنا خدمة كبيرة فمن منظور هاشم صالح اليوم علينا اليوم المشي على نفس الخط لكي يظهر التراث الإسلامي في أنواره.

– لا يخفى على الجميع أن أوروبا عانت من محاكم التفتيش ومعارك ومجازر الطائفية والفهم التكفيري للدين. فقد كانوا يكفرون بعضهم البعض الكاثوليكي يكفر البروتستانت والبروتستانت يكفرون الكاثوليكيين، رغم أن كلهم مسيحيون وعليه نلمس التشابه مع الوضع العربي الراهن لأن هناك أيضا تكفير بين المذاهب الإسلامية. ولابد لنا تجاوزها، فالمقارنة بين ما حدث في أوروبا وما يحدث في العالم الإسلامي العربي مقارنة مشروعة لأننا أيضا في الوطن العربي يوجد تطرف، يوجد تكفير توجد صراعات نحن نعيش حالة تستدعي تجديد فهمنا لتراثنا العريق للتجديد، لا يوجد تطابق ولكن هناك تشابه. وما يحدث اليوم في العالم العربي عايشته أوروبا سابقا بسنوات طويلة، فقد ذهب هاشم صالح إلى القول أن الربيع العربي الحقيقي سيحصل مستقبلا ولكن بعد أن يحصل ربيع فكري، بعد أن ننقل من لاهوت التكفير إلى لاهوت التنوير. ومن الفهم التكفيري للدين إلى الفهم التنويري للدين والتسامح المنفتح. فنحن اليوم نعيش عصر العولمة ويوميا نلتقي ونحتك مع مختلف الأجناس، والأعراف والديانات الأمريكية، الهندي، الصيني.... الخ. لا نستطيع أن نعتبرهم كفارا أو أعداء بل ينبغي أن نتعايش معهم ونحترم تراثهم الديني والثقافي لكي يحترموا هم بالمقابل تراثنا.

نحن الآن في العالم العربي في بدايات التنوير أو يمكننا القول ما قبل التنوير لا نزال في بداية البدايات لأن التنوير قصة ضخمة قصة كبيرة. تعني غريلة التراث كله من أوله لآخره، وهذا الشيء يصعب أن يفعله المثقفون العرب في بلدانهم لذلك يهاجرون إلى أوروبا وجامعات الغرب عامة. كما ينبغي علينا ألا نواصل ازدراء الأديان الأخرى بل من الضروري الاعتراف بمختلف الأديان الأخرى واحترام تراث البشرية الأخرى عامة. وختاما نجد المفكر السوري هاشم صالح يشيد بوثيقة الأخوة الإنسانية التي صدرت في أبو ظبي، ووثيقة مكة المكرمة التي ظهرت في المملكة العربية السعودية، يعني هناك محاولات

التنوير الفلسفي في ظل الدولة المدنية و النظام العلماني كحل، كمنقذ من جحيم الطائفية و تلبية
لحاجة تاريخية من منظور هاشم صالح.

للخروج من الانغلاق اللاهوتي من التكفير الديني للآخرين. هذه المبادرات قيمة ينبغي أن تثمن لأنها
مبادرات تمشي في حركة التاريخ.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1/ هاشم صالح: 2007 ، الإنسداد التاريخي: لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي؟، دار الساقى
بالاشتراك مع رابطة العقلانيين العرب ، ط1، بيروت لبنان.
- 2/ هاشم صالح : 2010 ، الإسلام والإنغلاق اللاهوتي ، دار الطليعة للطباعة والنشر - ط1 - بيروت.
- 3/ هاشم صالح : 2008 مخاضات الحداثة التنويرية (القطعية الابستمولوجية في الفكر والحياة، دار
الطليعة، ط1، بيروت.
- 4/ فريدريك نيشة: 2006 ، هذا هو الانسان، تر علي مصباح، منشورات الجمال، ط2، بغداد
- 5/ فتحي المسكيني: 2011 ، الهوية الحرة نحو انوار جديدة ، جداول للتوزيع والنشر، ط1، بيروت.
- 6/ نقلا عن معيلبي عيسى، 2015. محمد اركون نقد الذات لتحقيق التواصل مع الحضارات (كتاب
جماعي) مخبر حوار الحضارات والعولمة، دار قانة للنشر والتوزيع.
- 7/ هاشم صالح : 2020 ، لماذا يشتعل العالم العربي ؟ - دار المدى - ط1 - دمشق.
- 8/ جاسر عودة : 2015 ، الدولة المدنية نحو تجاوز الاستبداد وتحقيق مقاصد الشريعة ، الشبكة
العربية للأبحاث والنشر - ط1 - بيروت.
- 9/ د/ صفد عبد العزيز حمادي علاوي : 2019 ، المواطنة ودورها في بناء الدولة المدنية الحديثة
دراسة مقارنة : دار الكتب والدراسات العربية.
- 10/ هاشم صالح : 2021 ، العرب بين الأنوار والظلمات محطات واضاءات - دار المدى ط1 -
بيروت.
- 11/ نقلا عن باسم الراعي - كتاب جماعي : ، 2017 الدين والديمقراطية في أوروبا والعالم العربي -
اشراف فادي ضو - دار الفارابي - ط1 - بيروت لبنان.

قائمة المجلات والجرائد :

- 1/ هاشم صالح: 2014 ، العرب الى اين؟ جريدة الشرق الأوسط العدد 12883.
- 2/ هاشم صالح: 2014، معركة التنوير العربي، جريدة الشرق الأوسط، العدد 12897.